وحين نتابع، في كبريات الجرائد الغربيّة، أخبارَ صواريخ إسرائيل المتساقطة على جنوب لبنان، نجد أنها لا تستهدف لبنانَ ولا اللبنانيين، بل حزبَ الله. فالخبر يقول حرفيّاً: «دكّ الطيرانُ الإسرائيليّ نشطاءَ حزب الله في لبنان،» وهو يعني أنّ الطائرات المعتدية قَصفتْ لبنانَ من بيروت حتى الحدود الإسرائيليّة. هنا، على العكس من حالة فلسطين، اختُزل لبنانُ إلى جماعة سياسيّة واحدة: حزب الله. وإذا أراد مصمّمو الخبر زرعَ المزيد من البحبحة الإعلامية، أضافوا إلى الخبر عبارة «المرتبط بإيران،» فيغدو القصفُ الإسرائيليّ موجّهًا إلى طهران لا بيروت!

ومن العبارات اللغويّة المرتبطة بالقوّة، والتي دخلت التاريخَ من أوسع أبوابه، عبارةُ «أسلحة الدمار الشامل.» تتكوّن العبارة من كلمة وصفيّة محايدة («شامل») وكلمتين تحملان شحناتٍ متفاوتةَ السلبيّة («دمار» و«أسلحة»). وعند تجميع هذه الكلمات نقف على معنًى يدلّ على درجة عالية من الفتك، ولكنْ من دون تحديد نوعه وحجمه: فقد يكون بضعةَ صواريخ، أو سلاحًا ذرّيّاً. ومثل هذه التعابير الغامضة استُخدمتْ مرجعيّاتٍ زائفةً لأغراض سياسيّة وعسكريّة بحتة، وتقبّلها الناسُ كحقائق، رغم أنها تحتاج إثباتيْن لكي تصبح حقيقة: الأول يتعلّق بالمعنى المحدّد للتعبير، والثاني يتعلّق بحقيقة وجودها في الواقع.

أما الشحن الإيجابيّ المزوّر فنجده في الخبر التالي: «حَكمتْ محكمةٌ عسكريّة أميركيّة على المجنّد جيمس باركر بالسجن مئة عام لقتله صبيّةً عراقيّة.» حالَ صدور الخبر احتفلتْ صحفٌ عربيّةٌ كبرى بالحدث في وصفه دليلاً ناجزًا على فضائل أميركا وعدالتها، وشارك في احتفالات إقرار الحقّ رؤساءُ صحفٍ ومواقع ثقافيّة (في مقدّمتهم صحيفةُ **الشرق الأوسط**). أما الإعلام الأوروبيّ فلم يتوقّفْ عند عبارة «مئة عام،» بل أوضح لمتلقّيه، كجزء من واجب الإعلام المهنيّ، أنّ العقوبة في التطبيق العمليّ قد تقتصر على أقلّ من عشر سنوات (تُحتسب ضمنَها مدةُ الاحتجاز والتحقيق) لأنّ مثل هذه الأحكام تراعي أمورًا عديدة، شخصيّةً ووطنيّةً ومحلّيّة، تُحْسب لصالح المجنّد الشابّ، السيّئ الحظّ، الذي ذهب للدفاع عن «الأمن الدوليّ» ضدّ خطر الإرهاب العالميّ! أما أرواحُ عائلة عراقيّةٍ كاملةٍ مكوّنةٍ من أبٍ وأمٍ وابنتين أبرياء، وكرامةُ صبيّةٍ قاصرٍ تُغتصب، وحرمةُ أجسادٍ تُحْرق، واستخدامُ وحشيٍّ لـ «الواجب،» فتباع كلُّها من قِبل إعلاميين بثمنٍ قدرُه تسعُ سنواتٍ أو أقلّ! والحقّ أنّ عواقب هذا الإجرام وموقف «العدالة» الأميركيّة منه عظيمةُ الدلالة تاريخيّاً: فهذا الشاب مؤهّل للظهور بعد عقد، في مكانٍ آخر وحربٍ أخرى، لا في وصفه مجنّدًا نظاميّاً في الجيش الأميركيّ، بل «متعاقدًا» في شركة أمنيّة ذات خبرات غير اعتياديّة تؤهّله لخوض أشرس وأقذر الحروب باقتدار تامّ؛ ولا نستبعد أن نجده في بغداد في زيّ رسولٍ من رُسُل بناء الديموقراطيّة! وقد ثبت أنّ سانتوس كاردونا، السجّانَ صاحبَ الكلب في أبو غريب، ظهر بعد أشهر من محاكمته في أفغانستان ضمن القوّات الأميركيّة المحاربة، وقد قُتل برفقة كلبه في لغمٍ أرضيّ (جريدة **التايمز** البريطانية، مارس ٢٠٠٩).

وربما يكون تعبيرُ «إرهاب» هو أكثرَ التعابير شيوعًا في الاستخدام السياسيّ الراهن. والكلمة ذاتُ شحنٍ عاطفيّ سلبيّ في المعايير كلّها، بيْد أنّ معانيها تتغيّر: ففي حقبة السبعينيّات كانت ترتبط بالفلسطينيّ واليسار المتطرّف؛ وفي الثمانينيّات أضحت ملازمةً للعربيّ؛ وعقب سقوط الكتلة الشيوعيّة حُصرتْ بالإسلام. وهذا التطوّر يعكس طبيعة التحوّل في المناخ السياسيّ العالميّ.

السويد

تمّ اختيارُ هذه الرواية ضمن اللائحة القصيرة

للروايات المرشّحة لجائزة بوكر العربية لعام ٢٠٠٩

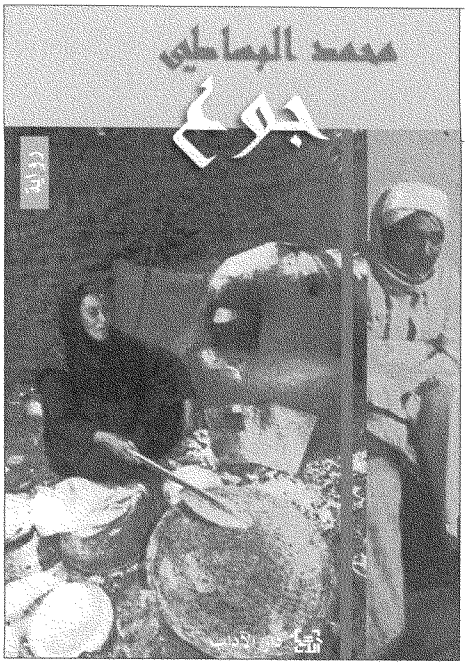

لمح طاولةً منزوية، فوقها كومةٌ من كسر العيش، ما تخلّف من الخبز. رآه عندما اقترب، وقد خطر له أنّه ربما استطاع أن يأخذ القليلَ منه ولن يَرفض صاحبُ الفرن. أرغفة معوجّة، وأخرى احترق جانبٌ منها. الكِسَر كثيرة، أرغفةٌ تسقط أثناء إخراجها من الفرن أو نقلها إلى الطاولات. مدّ يدَه وتناول لقمةً. جاء صوتٌ من الداخل المعتم:

ـ خُدْ لو عايز... تعال اكنس الفرن واملأ حجرك.

محمد البساطي روائيّ مصري. صدرتْ له عن دار الآداب رواياتٌ، منها: بيوت وراء الأشجار، وليالٍ أخرى، والخالديّة، ودقّ الطبول.

تُرجمتْ رواياتُه إلى لغاتٍ عديدة.